ومن يدين وأن تثبت مجده ويبرو ما الكثير وكلاهما مراد ومحمود على التحقيق قال الله عز وجل
الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب قال المريدون السالكون إلى الله تعالى في حال سلوك
كلهم محجوبون عن ربهم برؤية الأغيار في الآثار والأكوان لظلمة الطبيعة الموجودة لديهم والحق تعالى
غيب عنهم وهم يستدلون بها عليه وهذا حال ترقيهم قال المرادون المجذوبون واجههم
الحق بوجهه الإكرام وتقرب إليهم فعرفوه به فلما عرفوه على هذا الوجه انحجبت الأغيار
عنهم فلم يروها فهم يستدلون به عليها وهذا حال تدليهم وهذا حال العارفين وبعيد ما بينهما وذلك
أن المستدل به على غيره عرف الحق الذي هو الموجود الواجب لأهله وهو المختص بوصف القدم
وأثبت الأمر المشار به إلى الآثار العرضية من وجود أصله المشار به إلى المؤثر المتحقق وجوده
والمستدل به على غيره عليه على عكس ما ذكرنا لأنه استدل بالمجهول عن المعلوم وبا
لمعدوم على الموجود وبالأمر الخفي على الظاهر الجلي وذلك لوجود الحجاب ووقوفه مع
الأسباب وعدم انتظاره بالوصول والاقتراب وإلا فمتى غاب حتى تستدل عليه بالأشياء
الحاضرة ومتى بعد حتى تكون الآثار الغريبة هي التي توصل إليه أو فقد حتى تكون
الآثار الموجودة هي التي تدل عليه

عجبت لمن ألقى عليك شهادة … وأنت الذي أشهرته كل مشهد

يغض عيناه عن المحارم … يكف سمعه عن المآثم
كغيبة نميمة زور كذب … لسانه أحرى بترك ما جلب
يحفظ بطنه من الحرام … يترك ما شبه باهتمام
يحفظ فرجه ويتقي الشهيد … في البطش والسعي لممنوع يريد
ويوقف الأمور حتى يعلما … ما الله فيهن به قد حكما
يطهر القلب من الرياء … وحسد عجب وكل داء

قال الإمام سيدي عبد الرحمن الجزولي في شرح الرسالة الكبير أن امتثال الأوامر واجتناب النواهي واجتناب النواهي أشق على النفس من امتثال الأوامر لأن امتثال الأوامر يفعله كل أحد واجتناب النواهي لا يفعله إلا الصديقون ولهذا كله لا يتوصل إليه إلا بالعلم قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولاشك أن ترك النواهي أشق فقوله صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الغزو جئتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس عن هواها وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال خلق الله الجنة وحفها بالمكاره وخلق الله النار وحفها بالشهوات وخلق النار سبعة أبواب وخلق لابن آدم سبعة جوارح فمتى أطاع الله بجارحة من تلك الجوارح السبعة غلقت عنه باب من تلك الأبواب ومتى عصى الله بجارحة من تلك الجوارح السبعة استوجب الدخول منه باب من تلك الأبواب والجوارح السبعة هي البصر والسمع واللسان واليدان والرجلان والبطن والفرج وسميت جوارح لأنها كواسب تكتسب الخير والشر وأصل صلاح هذه الجوارح وفسادها

من القلب لأن القلب كالسلطان والجوارح كالأجناد لا تفعل إلا ما أمرها به القلب وقد قال صلى الله عليه وسلم في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب فإذا كان كذلك فينبغي للإنسان أن يجعل على جوارحه حاجبا يمنع عنها كل شيء بأن يمتثل الأمر ويجتنب النهي حتى تجري أعماله وأقواله كلها على لسان الشرع قال الله تعالى إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا وقد نبه ابن عاشر على هذا في أول الكتاب حيث قال أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه وهي الجوارح باجتناب المنهيات وحفظ حدود [illegible] شرائعه بامتثال المأمورات فمن ضيع ودائعه وحفظ شرائعه فقد فاز قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الشيخ والجوارح نعمة من الله تعالى على العبد وأمانة لديه ومن أقبح الكفران وغاية الخسران استعانة العبد بنعمة الله على معصية الله وخيانته لما ائتمنه الله تعالى عليه انتهى وقد اشتمل كلام الناظم في هذه الأبيات على أربع مسائل الأولى حفظ الجوارح السبعة عن كل ما لا يليق به الثانية ترك الأمور المشتبهات بالحلال مع عدم القطع بكونها منه الثالثة الوقف عن الأمور التي لا يعلم حكم الله فيها ولا يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه الرابعة تطهير القلب من أمراضه كالرياء والعجب والحسد وغير ذلك فقوله يغض ويكف ويحفظ في الموضعين ويترك ويتقي ويوقف والتطهير لفظه لفظ الخبر والمراد الطلب ولولا رعي الوزن لقلنا إنها على حذف لام الأمر لكنها إذا حذفت يبقى عملها وهو الجزم والمعنى الستر وغض البصر عن المحارم فرض عين والدليل عليه الكتاب والسنة والإجماع أما الكتاب فقوله تعالى قل للمومنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم فقرن الأمر بغض البصر مع الأمر بحفظ الفرج وهو في الأخير الوجوب إجماعا وأتى بمن الدالة على التبعيض ليبقى جواز النظر إلى الزوجة ونحوها إذ لو قال يغضوا أبصارهم للزم غض البصر مطلقا حتى لا يرى الإنسان أين يمشي وأما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان وزناهما النظر وأما الإجماع على تحريم النظر إلى المحارم وهو النص وأما ترداد من الصبيان على جهة الالتذاذ وإلى ما يحرم مالكه أن ينظر فيه له من الكتب والأمتعة ونحوها وإلى الملاهي المختلفة على أحد القولين والقول الآخر بالكراهة فقط ومن المحرم أيضا النظر في عورات الناس وعيوبهم والنظر إلى الأجنبية المسلم بعين الاحتقار والازدراء وليس في النظرة الأولى بغير تعمد حرج ومفهومه أن في الثانية الحرج وانظر هل هما مما نحن بصدده من نظر العين أو هما من عمل القلب وهو الظاهر إذ لا يحتاج إلى العين في الرسالة وليس في النظرة الأولى بغير تعمد حرج ومفهومه أن في الثانية الحرج وكذا في الأولى بتعمد وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه لا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك والثانية عليك قيل معناه لا تتبع نظرة عينيك نظرة قلبك وقيل معناه لا تتبع النظرة الأولى الواقعة سهوا بالنظرة الثانية التي وقعت عمدا وقال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه العيون مصائد الشيطان وقال بعض الحكماء من أرسل طرفه استدعى حتفه وجاء في قوله تعالى يعلم خائنة الأعين أنها النظرة الثانية وما تخفي الصدور قيل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)